آليّات الحجاج اللغوية في شعر علي الهوني (الهروب داخل الذات أنموذجاً)

د. زينب عبد السلام المقوز
جامعة صبراتة– ليبيا

الملخّص:

يشهد الأدب الليبي من شعر ونثر اهتمامًا متزايدًا من الباحثين في الآونة الأخيرة؛ لأنّ هذا النوع من الأدب المعاصر يعدّ خطابًا حجاجيًّا، يهدف فيه المتكلّم إلى التأثير في المتلقّي، وإقناعه والتفاعل معه، ولا يتحقّق ذلك إلا باستعمال آليات الحجاج، التي تقوم على توظيف الأدلة والبراهين للتأثير في أفكار المتلقّي؛ لأنها من أكثر المصطلحات استعمالًا في الدراسات الحديثة التداولية، التي تعتني بالخطاب الأدبي، فالنصوص الأدبية تكتسب قيمتها من سياقها التداوليّ، لإيضاح مقاصد المتكلّم التي يراد ايصالها، فجاءت فكرة هذه الدراسة البحثيّة حول آليّات الحجاج اللغوية في الشعر الليبيّ المعاصر.

أسباب اختيار البحث:

يعدّ هذا البحث قراءة معاصرة في الخطاب الشعري الليبي المعاصر، التي تهتمّ بمقاصد المتكلّم، وبالنص الشعريّ، وآليَاته الحجاجيّة اللغوية، التي استخدمها الشاعر للوصول إلى مقاصده.

انبثقت هذه الدراسة من عدّة تساؤلات، كانت هدفًا لهذه الدراسة، منها ما يلي:

- ما الآليّات الحجاجيّة، وما علاقتها بقصد المتكلّم؟
- هل لآليّات الحجاج اللغوي مظاهر في الشعر الليبيّ المعاصر؟
- ما الآليات الحجاجية التي وظّفها الشاعر عليّ الهوني في ديوانه لإظهار مقاصده؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، قمت بدراسة ديوان الدكتور علي الهوني (الهروب داخل الذات أنموذجًا)، كموضوع للبحث العلميّ في النصّ الشعريّ الليبيّ، واعتمدت على المنهج الوصفيّ التحليليّ في ضوء المنهج التداوليّ؛ للوقوف على آليّات الحجاج اللغويّة في ديوان الشاعر الليبيّ، عن طريق دراسة جانبين هما:

1 ـ الجانب النظريّ المتمثّل في الكلمات المفتاحيّة التالية:

التعريف بالحجاج . التعريف بآليات الحجاج اللغويّة . التعريف بالشاعر.

2 ـ الجانب العمليّ، ويتمثّل في نماذج تطبيقيّة لآليّات الحجاج اللغويّة في شعر عليّ الهوني (الروابط . العوامل . السلّم الحجاجي) .

أوّلًا- الجانب النظريّ من الدراسة

الكلمات المفتاحية:

1 ـ تعريف الحجاج لغة، و اصطلاحًا:

الحجاج في اللغة:

من الفعل الثلاثيّ المضعّف(حاجّ)، والذي تدور دلالته في اللغة حول الخصام والنزاع والاختلاف بين طرفين؛ لإثبات رأي أو مجموعة آراء بالبراهين والأدلّة، يقول ابن فارس في معجمه:" يقال حاججْتُ فلانًا فحجَجْته أي غلبتُه بالحجَّة، وذلك الظفْر يكون عند خصومة، والجمع حُجَج، والمصدر الحِجاج" [1](ابن فارس،1979م،30/2).

فتقع المحاجّة بين المتكلّم والمتلقّي، وتكون في مقابلة الحجّة بالحجّة، عن طريق المخاصمة والمغالبة؛ لغرض الظفر بالحقيقة.

أما في لسان العرب[2](ابن منظور، بلا، 226/2)، فظهرت عدة مشتقات فعلية واسمية لها مدلولات متنوعة للفعل (حاجّ)، والاسم (الحجة)، تنوّعت بتنوّع السياق اللغوي للفظة، منها الحجّ وهو القصد، والمحجّة الطريق، والحُجّة الدليل والبرهان، وما دفع به الخصم، والمحجاج كثير الجدل، والتحاجّ الخصام، وحاجّه يحجّه حجًّا: غلبه على حجّته.

الحجاج في الاصطلاح:

تعدّد المفهوم الاصطلاحي للحجاج بتعدّد الاستعمالات والدلالات لمفهومه وآلياته، كما اختلف باختلاف وظائفه ومجالاته والعلاقات التداولية بينها، وظهر الحجاج اللساني (dans la lanquel, arqumentation) في الدراسات اللسانية (اللغوية) متمثّلًا في الخطاب اللغوي، لما له من وظيفة حجاجية، تجعل من مفهوم الحجاج وآلياته أدوات إجرائية تحليلية تتجسّد في اللغة وسياقها الخطابي ومدى إدراك المتلقّي لها.

فهو عند علماء العرب المتقدّمين كالزركشيّ والسيوطيّ يدلّ على النزاع والخصام مع الاستدلال بالبراهين والحجج على حقيقة الأمر[3](الزركشي، 1972م،2/24-27، السيوطي،بلا،135/2 . 137).

أما المحدثون العرب فيرون أنّ الحجاج فعل لغوي أي عملية لغوية تواصلية يعرض فيها المتكلم القضية بالتبريرات باستخدام سلسلة من الكلام المترابط منطقيا لإقناع السامع بصدق كلامه والتأثير فيه[4](علوي، 2010م،4/4-5).

ومن هذا يتبيّن لنا أن الخطاب اللغوي تربط بين أجزائه علاقة منطقية لغوية، ويكون الحجاج:" تقديم الحجج والأدلة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة وهو يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب... و في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها

الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[5](العزاوي،2006،ص8)، ويبيّن وليم برانت أنّ الحجاج يكمن في إنشاء رابطة مقنعة بين عبارتين، يعتمد فيها النص اعتمادًا كليًّا على بنية أساسية للعلاقات المنطوقة داخله[6](علوي،5/4) ، ويقول مايير ميشيل عن الحجاج:" هو دراسة العلاقة بين القول الصريح والقول الضمني"[7](ميشيل،1991م،ص124) .

وممّا سبق عرضه حول آراء العلماء المتقدّمين والمحدثين، يتبيّن أنّ الحجاج ممارسة لفظية اجتماعية عقلية للتواصل بين البشر، للتأثير والاقناع، أو اثبات رأي باستخدام البراهين أو الأدلة.

2 ـ آليات الحجاج اللغوية:

يهدف الخطاب الحجاجي إلى توظيف الأدوات اللغوية، بمعانيها وخصائصها وتنوّع وظائفها في سياقها، إلى جانب مخاطبة العقل عن طريق الحجج اللغوية التي تعتمد على إقناع السامع بفكرة أو معتقد أو إيصال وجهة نظر، باستخدام آليات حجاجية متعددة، تمثّلت في الروابط والعوامل الحجاجية، إلى جانب المبادئ الحجاجية التي ضمنت الربط بين الحجّة والنتيجة، والتي اختلفت باختلاف المواقف والسياقات اللغوية ومقاصد المتكلّم، وهذه الأدوات ليست حججًا بل هي قوالب لها وظيفتها، تسمّى آليات الحجاج تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج، وتساعد المتكلّم على تقديم حجّته بالطريقة المناسبة لسياق خطابه، لإقناع المتلقّي أو التأثير فيه[8](العزاوي،ص55) .

التعريف بالشاعر:

الشاعر علي عبدالمطلب الهوني، شاعر معاصر ولد في سبها جنوب ليبيا، تحصّل على درجة أستاذ في جامعة طرابلس سنة 2007م، درّس في عديد من الجامعات الليبية، وأشرف على مجموعة من رسائل ماجستير ودكتوراه، له عدّة مؤلفات قصصية وشعرية، وكتب نقدية باللغة العربية والإنجليزية.

ثانيًا ـ الجانب النظري من الدراسة:

تعدّدت الآليات الحجاجية، وكثر ورودها في ديوان الشاعر علي الهوني، حينما وظّفها في شعره؛ ليربط بين الكلام ويصل بين أجزائه بهدف التأثير والإقناع، منها على سبيل المثال:

أولًا ـ الروابط الحجاجية:les connecteurs argumentatives

هي مورفيمات لفظية تجمع أجزاء الكلام وتقرّبها، فهي:" جملة من الأدوات التي توفّرها اللغة للربط بين مفاصل الكلام وأجزائه فتأسس عندها العلاقات الحجاجية"[9](الدريدي، 2007،ص344)، ولهذه الروابط دور في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجّة الظاهرة، بحيث

تخدم الحجّتان نتيجة واحدة، لها قوة حجاجية، ولكن بدرجات متفاوتة[10](العزاوي،ص27)، وتمثّلت في ديوان الهوني في نوعين من الروابط، هما روابط الوصل وروابط الفصل، وذلك على النحو التالي:

أ ـ روابط الوصل:

وهي جملة الأدوات التي توفّرها اللغة؛ للربط بين مفاصل الكلام، والوصل بين أجزائه؛ لوجود علاقات حجاجية تربط بين قولين أو حجّتين أو أكثر، و يشترك فيها المعطوف مع المعطوف عليه في اللفظ والحكم والمعنى[11](الشهري،2004،ص477)، ويرى التداوليون أنها:" علاقة منطقية تتمثّل في تكوين قضيّة مركبة انطلاقًا من قضيّتين بسيطتين بواسطة الرابط"[12](روبول، موشلار،2003م، ص276)، ومنها روابط العطف التي استعملها الشاعر كمورفيمات حجاجية تربط بين وحدات دلالية في إطار استراتيجيّ واحد، ومن روابط الوصل التي وردت في ديوان علي الهوني (الهروب داخل الذات):

1 ـ رابط الواو:

أصل روابط العطف، وتدلّ على الاشتراك والجمع بين المعطوف والمعطوف عليه على رأي البصريين، بينما هي للترتيب على رأي الكوفيين[13](المرادي،2:2008/998).

وقد وردت في شعر الهوني منفردة عن باقي روابط العطف، كقوله في قصيدته (وطن للبيع)[14] (الهوني،2008،ص11):

جاء الشتاء .. و لست أزعم أنني

جهّزت كل حقائبي

فرابط العطف الواو هنا أفادت مطلق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه مع الترتيب بينهما في الزمان والمكان في آنٍ واحدٍ، و اشتراك المعطوف عليه (ولست أزعم) فيما دخل فيه المعطوف (جاء الشتاء)، فالواو بوصفه دليل حجاجيّ أظهر نفي الشاعر تجهيز حقائبه لاستقبال الشتاء حين جاء؛ لتظهر لنا نتيجة أنّ الشاعر غير جاهز لاستقبال الشتاء.

النتيجة ← رابط الواو + الحجّة بعد الواو

جاء الشتاء ← الواو + لست أزعم أنني لم أجهّز حقائبي .

2 ـ رابط الفاء:

لها دلالات عديدة في مواضعها، اختلف آراء النحويين فيها، فهي عند جمهور النحاة تفيد الترتيب والتعقيب بلا مهلة ومطلق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، في حين يرى البصريون أنها تفيد الاتصال، كما أنها تدل على السببية، وتسمّى (الفاء الجوابية)، ويكون

معناهـــا للـــربط وتلازمهـــا الســـببية والترتيـــب[15](ســـيبويه،1،139/2006-142،العكبري،1،375/1995)، وقد جاءت في ديوان الهوني لتدلّ على دلالاتها السابقة، وذلك على النحو التالي:

يقول الشاعر في قصيدته (وطن للبيع)[16](الهوني،ص16):

لا من يعزي أهله فيه

فتنساب الدموع من العيون

فالناس في زمن العساكر

ساذجون ...

يقهقهون ويمرحون

دلّت الفاء الجوابية في قوله (فتنساب) على السببية، ويكون معناها للربط وتلازم السببية والترتيب والتعقيب بين المعطوف عليه (من يعزي)، وعلى المعطوف (فتنساب الدموع من العيون)، وإن كان جواب الشرط فعلًا مضارعًا (فتنساب) مع جواز اقترانه بالفاء ووجوب رفعه، على أنه خبر لمبتدأ محذوف فيكون جواب الشرط جملة اسمية، وعندما وقعت جوابًا علّقت ما بعدها بما قبلها؛ ولهذا قال الفقهاء وتدلّ الفاء على أنّ ما قبلها سبب لما بعدها ومعتبر فيه.

النتيجة (تنساب الدموع) ← رابط فاء السببية + الحجّة(من يعزبي)

ويلاحظ أنّ رابط الفاء العاطفة هنا يربط بين أكثر من وحدة دلالية، أي بين حجّتين، الأولى التي سبق ذكرها، والحجة الثانية في صورة جديدة تبيّن حال الناس في زمن العسكر، والتي من أجلها بيع الوطن وحزن عليه، أوضحت هذه الحالة فاء العاطفة عندما أفادت التعقيب بين العزاء والدموع، وحال الناس زمن العسكر.

النتيجة(الناس ساذجون) ← رابط فاء العاطفة + الحجّة(فالناس زمن العساكر)

النتيجة (هم يتمسّحون) ← رابط فاء العاطفة + الحجّة(ملأت عقولهم بالوهم).

3 ـ الرابط ثُمّ (بضمّ الثاء وتشديد الميم):

دلالته عند النحاة على التراخي في الزمن، أكثر من دلالته على التعقيب والترتيب بين المعطوف والمعطوف عليه[17](الزجاجي،1984،ص13)، ومنه في قصيدته (وصايا إرهابيّ لتابعيه)[18](الهوني،ص57) :

لبس الجبّة

قصّر شاربيْه

وضع السواك

حرّكه بفيّه

ثمّ صاح غاضبًا بتابعيه

أطلقوا اللحية مثلي

لا تمسّوها بسوءٍ

فقد عطف الرابط (ثمّ) بين جملة فعلية وجمل فعلية عديدة، متحدة الزمن (لبس، قصّر، وضع، حرّك)، كلّها أفعال تراتبية تعاقبية في زمن الماضي ، وزادها تعقيبًا وترتيبًا زمنيًا مباشرًا خلوّها من الروابط الحجاجية؛ لتدلّ على الحدث المتوالي والمباشر في اللباس والتقصير و والوضع والتحريك، أما في استخدام الشاعر للرابط الحجاجي (ثمّ) دلّت على أنّ هناك تعقيب وترتيب مع فسحة زمنية بين أفعال الجمل السابقة وفعل جملة (ثمّ صاح غاضبًا)، فهذا الربط الحجاجي بين أزمنة الجمل يؤثّر في المتلقّي، ويدفعه إلى الانسجام وإيضاح الصورة مع فهم النص الشعري؛ ليظهر الإرهابي في صورة الزعيم القدوة في لباسه وشكله، ثم ليأمر تابعيه بالسير على نهجه.

ب ـ روابط الفصل:

وهي التي تكون:" غايتها توزيع العناصر التي تعدّ كلًا واحدًا، أو على الأقلّ مجموعة متحدة ضمن الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها"[19](الشهري،ص477)، وهي عند التداوليين:" علاقة منطقية يتمّ الربط فيها بين قضيتين بسيطتين بواسطة الرابط"[20](روبول،موشلار ،ص278)، فهي مرتبطة بالبنية الحجاجية، التي تطيل النظر في الوجوه والفروق بينها؛ للوقوف على أقوى الحجج فيها، وتسمّى روابط التعارض التي تدرج حجّة قوية[21](اسماعيل،2010،ص64 65.)، و من روابط الفصل في ديوان علي الهوني:

1 ـ الرابط أوْ:

هو عند النحويين يستعمل للتخيير بين الشيئين بعد الطلب، وامتناع الجمع بين المتعاطفين[22](ابن هشام،3،377/1979)، فهو يستعمل لأحد الأمرين عند شكّ المتكلّم، أو قصده أحدهما[23](الزجاجي،ص13)، أي أنها تفيد التوجيه المضاد (contre orientation) نحو نتيجة متضادة، ومنه قول الشاعر في قصيدته(ليس للذئب وفاء) [24](الهوني،ص88):

إنّي أبشع غول

فاتبعني أيها الشعب اتبعني

أو ستندم

فالرابط الحجاجي (أو) رغم أنه من حروف العطف، إلا أنّ الشاعر استعمله في البيت دون الجمع بين المتعاطفين، حينما خيّر الشعب (المخاطب) بين اتِّباعه بصيغة فعل الأمر، أو الندم عند عدم اتباعه، دون أن يجمع بين عدم اتباعه والندم؛ لوجود سبب يمنع الندم، وهو أنّ في اتباع الشعب له عدم الندم، دون أن نعلم أيُّهما اختار الشعب.

2 ـ الرابط لكنْ الخفيفة:

هي حرف ابتداء واستدراك، تقع بعد اثبات أو نفي، وليست للتخطئة، فالاستدراك لازم لها، والعطف عارض فيها[25](االزجاجي،ص39ـ41، العكبري،ص427) ، ومنها قول الشاعر في قصيدته (هزلت)[26](الهوني،ص88):

ألا أيها الشعب

إنّ الجنوب يناديكم

فالجنوب يئنّ

ثم يسترسل فيقول:

يباع ... يباع بأبخس ثمن

يباع ... يباع

ولكنْ لمن؟

(لكنْ) هنا حرف ابتداء واستدراك، لا حرف عطف؛ لأنّ الشاعر ساقها في كلامه مسبوقة بواو العطف مباشرة، وتفيد الاستدراك أي تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته، وهو ضياع الجنوب وبيعه، فالاستدراك لازم لها؛ لأنه لا يتحقق إلا بكلام سابق عنها، مخالف لما قبلها، فقد صرّح الشاعر أنّ جنوب الوطن يُباع، ثم يستدرك متسائلًا لمن يباع؟، وليست (لكنْ) عاطفة؛ لأنها سبقت بواو العطف، ولا يجتمع عند النحويين حرفا عطف معًا[27](ابن هشام، 354/3)، وما بعد (لكنْ) الاستدراكية هو جملة اسمية.

أما في قصيدته (المساءلة و الجزاء)، يقول الشاعر [28](الهوني،ص88) :

ويشتمني شتم الكلاب وإنّني

عفيفٌ ولكنْ للمنافق مطرح .

حيث جاء ما بعد (لكنْ) مخالف لما قبلها في حكم المعنى، وهو معنى الاستدراك وتعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام عن الذهن،

أما خبره فقد أجاز الكوفيون دخول اللام عليه(للمنافقين) [29](العكبري،217/1)، وقد اشترط النحاة أن يسبقها نفيّ، لكي تكون للاستدراك [30](المبرد،بلا،12/1) ، إلا أنّ الشاعر جعلها واجبة غير منفية هنا؛ لأنها جاءت جملة تامة(للمنافق مطرح)، فقطع معنى هذه الجملة عن ما تقدّمها، وهو ما أجازه النحاة حين قالوا:" ولا يجوز أن تدخل بعد واجب إلا لترك قصة تامة" [31](المبرد،10/1)، فـ(لكنْ) هنا رابط حجاجيّ استعمله الشاعر للتعارض، فربط بين حجّتين متعارضتين، حين استعمل (إنّ) لإثبات أنّه عفيف عن الشتم، ثمّ يستدرك لإثبات القطع لفعل (العفّة) السابق لـ(لكنْ)، ونفيه وإثبات ما لحقها، وهي صفة النفاق لهم وتأكيده، فالنتيجة الواردة بعد (لكنْ) أقوى من الحجّة السابقة لها، وهي (عفّته)؛ لهذا وجّهت (لكنْ) معنى القول إلى مقاصد الشاعر(المتكلّم) حين استعملها للتفاضل بين حجّتين.

3 ـ الرابط كيْ:

وهي الناصبة للفعل المضارع، والتي تفيد التعليل، وتربط بين جملتين، الثانية تعليل سببيّ عن الأولى[32](سيبويه:17/3،ابن هشام:48/3)، ومنها قول الشاعر في قصيدته(وطن للبيع) [33](الهوني،ص11) :

أ ألوم نفسي

كي أزيد متاعبي

استعمل الشاعر (كيْ) للربط بين قضيتين حجاجيتين، كانت الجملة الأولى سببًا لظهور الجملة الثانية، والتي هي علّة عنها، فزيادة متاعب نفسه، تنشأ عن لومها وعتابها؛ لهذا استعمل الشاعر رابط الفصل الحجاجي (كيْ)؛ لتعليل فعل زيادة متاعبه.

النتيجة (أزيد متاعبي) ← الرابط كيْ + الحجّة ألوم نفسي .

3 ـ الرابط اللام الناصبة:

وهي اللام التي تنصب الفعل المضارع عند الكوفيين، أما البصريون فهي اللام الجارة، وعامل النصب في الفعل المضارع بعدها (أنْ) المضمرة بعدها[34](ابن هشام،150/4 .151)، ومنها قول الشاعر في قصيدته (المساءلة والجزاء) [35](الهوني،ص40) :

تضمّ أباها وهي تبكي بلوعة فيدفعها جنديّ وكيلها يطفح

فتشتمه شتمًا يليق جنابه ليطلق عليها النار فهو مسلح

فاللام الناصبة في (ليكذب) تفيد التعليل، وسميت عند النحاة بلام كيْ.

ولكونها تفيد التعليل، وهو ثبوت المؤثّر وهو السبب للشتم؛ لإثبات الأثر، وهو علّة اطلاق النار، لتأتي بعده فاء السببية في (فهو مسلح)، للدلالة على أنّ ما بعدها سبب لما قبلها.

ثانيًا- العوامل الحجاجية: (les operateurs)

لا تربط العوامل الحجاجية بين متغيّرات حجاجية، أي بين حجّة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج؛ فهي مورفيمات لفظية تقوم بحصر وتقييد وتوجيه الإمكانيات الحجاجية داخل لفظ حجاجي معيّن[36] (عمران، 2009،ص43 ـ44)، فهي تحقق العملية الحجاجية للوصول إلى نتيجة بالربط بين العوامل الدلالية لتؤدّي دورًا حجاجيًا أو تعمّق التوجيه وتقويّه، فهدفها إظهار حجّية اللفظ بتقوية التوجيه[37](الناجح،2004،ص17)، ومن أمثلة العامل الحجاجي في تقييد الإمكانيات الحجاجية للملفوظات وحصرها في شعر الهوني ما يلي:

أ ـ عامل النفي (لم):

هو حرف نفي وجزم وقلب، فتنفي الحكم المثبت سابقًا للفعل الذي تدخل عليه، وتقلّب معنى المضارع من الحاضر إلى الماضي[38](المبرد،46/1،الزجاجي،ص8)، ومنه في ديوان الشاعر[39](الهوني،ص66):

وأخْذُ النفيس يثير النفوس

وإنّك أنفس معط سخيّ

فلم أر مثلك بين الكرام

وجود الكرام لنا منه في

يتكلّم الشاعر الهوني في هذا البيت وينقل على لسان صديقه الدكتور رضا جبران ردّه عليه عندما أعاره كتابا في الأدب؛ ليصف كرمه وجوده الذي لم ير مثله لا حاضرًا ولا مستقبلًا، مستخدمًا حرف النفي كعامل حجاجيّ ليدلّ على زمنين، حينما نفى أن يكون الحكم المثبت وهو الكرم والجود على الفعل الحاضر فقط، بل أضاف له الفعل الماضي؛ ليدل جوده وكرمه منذ القدم وحتى الآن، الذي ورثه عن والده ـ رحمه الله ـ صديق الشاعر.

ب ـ عامل النفي (ليس):

هو فعل جامد ملازم لصيغة الماضي غير بارحٍ لها، وهي من النواسخ التي تدخل على الجملة الاسمية فتغيّر حكمها، وهي للنفي للحال والاستقبال، فتنفي حكم الخبر عن المبتدأ[40] (الزجاجي،ص8)، وقد استعمل الشاعر هذا العامل الحجاجي في قصيدته (ليس للذئب وفاء)، فقال[41] (الهوني،ص86) :

كان له طول قزم

ليس من أصل الغنم

فاستخدم الشاعر العامل الحجاجي وهو الفعل الجامد (ليس)؛ ليدحض وفاء الذئب، فيدخل على المبتدأ، ويصفه بطول القزم، وينفي عنه حكم الخبر الحالي؛ لأنه ليس من أصل الغنم.

ج ـ عامل النفي (لا):

وهي للنفي المطلق، أي لمطلق وقوع الحدث أو الخبر؛ لأنها تدخل على الجملة الاسمية، فتحوّل معناها من الاثبات إلى النفي[42](الزجاجي،ص31)، ومنها قول الشاعر في قصيدته (هوّن عليك) [43] (الهوني،ص90):

يا طيب تلك الربوع بنشر سيدها

كأنه الخلد إذ فاحت لنا بشذا

لا يبلغ المرء من أمر أراد به

سبل النجاة إذا ما في الفروض سلا

استعمل الشاعر أداة النفي لا، والتي تلاها بالفعل المضارع (يبلغ)، الدال على الحال؛ ليبيّن مدى استمراره في الفعل، وحال المرء وسبل النجاة في الدنيا، طالما أنه ليس في أفعاله الفروض التي يرضاها الله عليه، فالحجة هي لا يبلغ المرء سبل النجاة، التي تشير في نفس الاتجاه مع الحجة يبلغ المرء سبل النجاة طالما أدّى فروض الله.

د ـ عامل القصر والحصر:

القصر هو تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص، ويسمّيه البلاغيون الحصر[44] (الخطيب،1998،ص118)،أما في الدرس الحجاجي فالقصر:" عامل يوجّه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض"[45](الشهري،ص520)،ومنها أدوات القصر الواردة في شعر الهوني:

أ ـ القصر بـ(إنّما):

تتكوّن إنّما من (إنّ) المكسورة الهمزة، و(ما) الزائدة التي تكفّها عن عملها باختصاصها بالأسماء، وتسمّى أداة القصر والحصر، والمقصور عليه يأتي بعدها بصيغة غير مباشرة سواء

في الجملة الاسمية أو الفعلية[46](الحمد،الزعبي،1993،ص93)، ويستخدم الشاعر الليبي الهوني أسلوب القصر عن طريق الأداة (إنّما)، فيقول (ليس للذئب وفاء) [47](الهوني،ص88):

ليقول

إنما الشعب أنا

حان للشعب الأفول

إنّي أبشع غول

فالشاعر يصف خصمه بالذئب الذي صار منفوشًا كطاووس لا عقل له ولا دين، يستولي على كل ما يصادفه، حتى تجبّر وطغى، فوظّف عامل القصر (إنّما) لحصر غطرسة من يصفه بالذئب، وتجبّره على الشعب الذي حانت نهايته، ليكون هو المقصور عليه في التخصيص بالحصر حين قال: إنما الشعب أنا، وعضد كرهه لهذا المتغطرس حينما وصفه على لسانه بـ(أبشع غول)، ونلاحظ أنّ العامل الحاجي (إنّما) جاء بعد مجموعة من الصفات السيئة لعدوّه، فالحجّة المتضمنة في هذا القول هي:

بين ليلة وضحاها صار منفوشًا كطاووس

.....

ليقول إنما الشعب أنا

والنتيجة الظاهرة:

بين ليلة وضحاها صار منفوشًا كطاووس

.....

ليقول الشعب أنا

فالحجّة تسير في نفس الاتجاه، فهما لهما نفس النتيجة وهي غطرسته وجبروته.

ب ـ الحصر بـ(إلّا):

وهي أداة استثناء، والاستثناء هو إخراج ما بعد أداة الاستثناء من حكم ما قبلها، وتكون تحقيقًا بعد النفي ونفيًا بعد التحقيق[48](الزجاجي،ص7)، وقد أورد الشاعر هذا العامل الحجاجي في ديوانه، فقال في قصيدته(هوّن عليك)[49](الهوني،ص90):

لا يندم المرء إلا ساعة عبرت

لم يذكر الله فيها كي يزاد تقا

وهي تسير في نفس الاتجاه مع الحجّة

يندم المرء ساعة عبرت لم يذكر الله فيها

وهما يخدمان نتيجة واحدة هي أنّ المرء حين انشغاله بأمور الدنيا، وساعة تمرّ فيها لا يذكر الله فيها، يندم الندم الشديد.

ثالثًا ـ السلّم الحجاجي:

يقوم السلّم الحجاجي على ترتيب الحجج القوليّة عموديًا من الحجة القولية الضعيفة(ن1) إلى الحجّة القوليّة القوية(ن2)،وهي حجج وأدلة تخدم النتيجة (ن)، فكلّ قول في السلّم الحجاجيّ هو دليل على مدلول معين يتدرج بين الأضعف والأقوى حجّة، ويسمّى الحجج المنطقية، فهو:" مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبية"[50](اللسان والميزان،1998،ص277)، وقد استعمل الشاعر الليبي علي الهوني السلم الحجاجي في ديوانه، وتدرّج في حججه المنطقية بحسب قوّتها، حتى وصل الى النتيجة المقصودة من كلامه، وذلك على النحو التالي:

1 ـ يقول علي الهوني في قصيدته(الهاوية) [51](الهوني،ص81):

الريح تعصف داخل البيت العتيق

فتستحيل إلى صفير

ونباح كلب جائع يقتات من جيف الحمير

و بكاء طفل خائف

يبكي يناشد أمّه كي تستفيق

ويصيح شيخ خانق

أين الطريق؟

أين الطريق إلى الغريق

ليكون في البيت العتيق.

في هذه الأبيات نجد الشاعر تحدّث عن الهاوية، وأراد أن يبرز للمتلقّي صورتها والطريق إليها، فأورد حججًا مرتّبة ترتيبًا عموديًا، وذلك على النحو التالي:

ن ـــ الريح تعصف داخل البيت العتيق

ق3 ـــ نباح كلب جائع

ق2 ـــ وبكاء طفل خائف

ق1 ـــ ويصيح الشيخ خانق

تساءل الشاعر عن الطريق إلى الغريق والبيت العتيق، وهو في تساؤله هذا يعترف بأنّ الطريق هو الغريق نحو البيت العتيق، وللإجابة عن تساؤله بدأ بالحجة الضعيفة(ق1 ـ يصيح

شيخ)، تليها الحجة الأقوى منها(ق2 ـ وبكاء طفل)، ثمّ الحجة الثالثة الأقوى (ق3 ونباح كلب) حتى وصل إلى النتيجة الضمنيّة، التي وردت في أعلى السلّم الحجاجي، وقامت على أسس منطقية وبرهانية ثابتة، تمثّلت في هدف إقناع المتلقّي فهناك تدرّج في الحجج القولية، وفيها تفاوت من حيث القوة عند بنائها، وهي تخدم نتيجة واحدة(الهاوية والغرق المتمثّلة في الطريق إلى البيت العتيق).

2 ـ يقول الشاعر علي الهوني في قصيدته(هوّن عليك) [52](الهوني،ص89):

هوّن عليك فإنّ الأمر فيه سعة
واهرب إلى الله واحرص أن تكون معه
وجدد العهد بالأذكار تنشدها
جوف الليالي ... وأحيانًا تكون ضحى
واستغفر الله من كل الذنوب ومن
إثم الأثيم إذا كل الحرام أتى
وابكي على ما جنت عيناك من نظر
نحو المحارم قل يا طيب ذاك بكاء
وخصّص الفجر للقرآن رتّله
متدبّرًا آية حتى تُزاد سناء

ويمكن أن نمثّلها بالشكل التالي:

ن ـ هوّن عليك فإنّ الأمر فيه سعة
ق5 ـ اهرب إلى الله
ق4 ـ جدّد العهد بالإذكار
ق3 ـ استغفر الله من كل الذنوب
ق2 ـ أبكي على ما جنت عيناك
ق1 ـ خصّص الفجر للقرآن رتّله

فكلّ هذه الحجج (ق1، ق2، ق3، ق4، ق5) تؤكّد على أنّ في الرجوع إلى الله أمل في الحياة، ورتّب الشاعر هذه الحجج وفق قوّتها، فبدأ بأنقصها دلالة على النتيجة (ق1 خصّص الفجر للقرآن رتّله)، ثمّ أتى بحجة أخرى أقوى منها للدلالة على التوبة (ق 2 أبكى على ماجنت عيناك)؛ لأنه من الطبيعي عند قراءة القرآن أن تبكي لله من الخشية، ثمّ أتى بالحجّة الأقوى،

وهي (ق3 استغفر الله من كل الذنوب)، فبعد الخشوع لله استغفار عند الوقوف على ما أذنبت النفس، ثمّ تليها الحجّة الرابعة الأقوى ممّا سبقها، فبعد الخشوع والبكاء والاستغفار (ق4 جدّد العهد بالإذكار) بعدم الرجوع للذنب، ولا يكون تجديد العهد مع الله إلا (ق 5 واهرب إليه) أي بالفرار إليه، وكانت النتيجة لكلّ المراحل الحجاجية السابقة من حجج السلّم الحجاجي، أنه على الإنسان ألا يفقد الأمل؛ لأنّ الأمر فيه سعة على مغفرة الله ورحمته بعباده، وأنّ طريق التوبة مفتوح دائم، والأمل فيه مرجوّ، وهذه هي مقاصد الشاعر ونتيجته الضمنية.

3 ـ يقول الشاعر علي الهوني في قصيدته(وطن للبيع) [53](الهوني،ص16):

يا أيها الوطن الذي مات

ولم يقبر وأهله ميّتون

لا أب يرجو

ولا أمّ حنون

لا أخ يحمل عنه

أعباء الحياة ولا بنون

لا من يعزّي أهله فيه

فتنساب الدموع من العيون.

فالحجج المستعملة في هذا المثال هي حجج منفية، جاءت متدرّجة من الحجّة الأنقص مدلولا إلى الحجّة الأقوى مدلولًا؛ لتؤدّي إلى نتيجة واحدة (الوطن الذي مات)، وهو ما يعرف بقانون النفي في السلّم الحجاجي، والتي يمكن أن نمثّلها في السلّم الحجاجي التالي:

ن ـــ يا أيها الوطن الذي مات

ق4 ـــ ولم يقبر وأهله ميتون

ق3 ـــ لا أب يرجو

ق2 ـــ ولا أم حنون

ق1 ـــ لا أخ يحمل عنه أعباء الحياة

و لو جعلنا هذه الحجج دون نفي، فإنه يتغير مجمل الخطاب، ويتدرّج سلّم الحجاج من الحجّة الأضعف إلى الحجّة الأقوى منها في المدلول، والنتيجة المنفية تصبح مناقضة للنتيجة غير المنفية، ويمكن أن نمثّلها بهذا الشكل:

ن — يا أيها الوطن الحيّ
ق4 — أهله أحياء
ق3 — أب يرجو
ق2 — أم حنون
ق1 — أخ يحمل عنه أعباء الحياة

فقوة النفي تترتّب ترتيبًا عكسيًّا، يا أيها الوطن الحيّ، فطالما هو وطن حيّ؛ سيكون: أهله أحياء، أب يرجو، وأمّ حنون، وأخ يحمل عنه أعباء الحياة، وهذا النوع من السلّم الحجاجي يعرف بقانون تبديل السلّم، غير أنّ نفي أي درجة أو دليل في السلّم الحجاجي لا يستلزم نفي ما يقع في المرتبة التي تعلوه، وهو ما يعرف بقانون القلب في السلّم الحجاجي[54](اللسان والميزان، ص278)، ومنه قول الهوني في قصيدته (وطن للبيع) [55](الهوني،ص14):

هذا الربيع أطلّ
أبشر صاحبي
فالدفء جاء
لا خير في برد الشتاء
فلا حرور ولا ضياء
إلا البرودة في الصباح
وفي المساء ...

ويمكن أن نمثّله بالشكل التالي:

ن — هذا الربيع أطلّ
ق4 — الدفء جاء
ق3 — لا خير في برد الشتاء
ق2 — فلا حرور ولا حياء
ق1 — وفي المساء

فاجتمعت في الأبيات حجج مثبتة وحجج منفية، تدرّجت من الأضعف المنفيّة إلى الأقوى الثابتة، لتصل إلى نتيجة واحدة في السلم، جمعت بين حجج مثبتة ومنفية متوالية، فبعد التدرّج في الحجج من المنفية التي تنفي الدفء والحرارة على الشتاء، وقلّة الخير في برودته، ينتقل الشاعر إلى الحجج المثبتة التي تؤكد صفات الدفء والبشرى بقدوم الربيع، فكانت هي النتيجة

الضمنية التي جمعت حججًا منطقية وبراهين ثابتة ونافية، نقلت أفكار الشاعر ومقاصده التي استنبطها المتلقّي، ووصل مع الشاعر إلى قمّة السلم الحجاجي، فقبول الحجج المنفية تلزم قبول الحجج المثبتة.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة العلمية، نصل إلى النتائج العلمية للدراسة، وهي:

1 ـ الحجاج فنّ من فنون الإقناع، فهو أسلوب تواصليّ يعتمد على تقديم الحجج، يوجّه العقول إلى النتيجة المقصودة، التي اعتمدت على إقناع السامع بفكرة، أو إيصال وجهة نظر.

2 ـ يحتوي الشعر المعاصر على قضايا خطابية حجاجية عدّت درسًا حجاجيًّا في الخطاب الحجاجي، إلى جانب النثر، وكان من بينها الشعر الليبيّ المعاصر، حيث مثّلت هذه الدراسة

البحثية شعر الشاعر الليبيّ عليّ الهوني من خلال ديوانه (الهروب داخل الذات).

3 ـ لجأ الشاعر الليبيّ إلى استخدام الآليات الحجاجية بهدف نقل مشاعره وتجاربه للتأثير في المتلقّي، تمثّلت في هذه الدراسة في العديد من الروابط والعوامل الحجاجية والسلم الحجاجي.

4 ـ استعمل الشاعر الروابط الحجاجية كروابط الوصل (الواو، والفاء، وثم)، وروابط الفصل كعوامل(النفي، القصر والحصر)، للربط بين أقواله الحجاجية، فكان لكل منها دورًا حجاجيًا محدّدًا حسب السياق التداولي الذي أورده الشاعر في ديوانه، بهدف الوصل بين أجزاء الكلام؛

للتأثير والإقناع في المتلقّي.

5 ـ وظّف الشاعر علي الهوني العوامل الحجاجية، واستعملها في خطابه الشعري؛ لتفسير أو بناء حججه القوية، حينما يستعمل ملفوظًا حجاجيًا يضمنه مجموعة من العلاقات تحدّد مدلوله

وتأوّل مقاصده، فالعوامل تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات اللفظية، لعلاقتها بالبنية اللغوية للنص

الشعري.

6 ـ وردت الحجج في ديوان الشاعر ضمن السلّم الحجاجي، فتبدأ الحجّة فيه باتجاه عموديّ لتكون الحجّة القوية على رأس هرم السلّم الحجاجي، والتي اختلفت باختلاف مواقف الشاعر والسياقات اللغوية الواردة فيها، فالقوة الحجاجية في ديوانه تعتمد على التدرّج الضمني، ليقدّم الاستنتاج الحجاجي.

المصادر والمراجع:

1. ابن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر د. ط، 1979م :2 /30.
2. ابن منظور، محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط1، بلا سنة طبعة: 226/2.
3. ينظر: الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعرفة بيروت، 1972م،:/24-27، السيوطي، عبدالرحمن بن الكمال، الاتقان في علوم القرآن، عالم الكتب بيروت، بلا سنة طبعة :135/2 ـ 137.
4. ينظر: علوي، اسماعيل حافظ، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الجديد، ط1،2010م :54/4.
5. ينظر: العزاوي، أبوبكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1،2006م، ص:8.
6. ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته: 5/4.
7. ميشيل، مايير، المنطق واللغة والحجاج، ترجمة: محمد أسيداه، بحث لنيل الإجازة في اللغة العربية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، 1991م، ص:124.
8. اللغة والحجاج، ص: 55 .
9. الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر، عالم الكتب الحديث، الأردن،ط1،2007م، ص:344.
10. اللغة والحجاج، ص:27 .
11. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004م، ص:477 .
12. آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة د. سيف الدين دغفوس، وآخرون، نشر وتوزيع: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2003م، ص:276.
13. ينظر: المرادي، أبو بكر بدر الدين، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبدالرحمن علي، دار الفكر العربي، ط1،2008م: 998/2.
14. الهوني، أ.د.علي عبدالمطلب، دار النخلة للنشر، طرابلس، ليبيا، ط1،2008م، ص:11
15. ينظر : سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، كتاب سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط3،2006 : 139/1 ـ142،العكبري، أبو البقاء

محب الدين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي طليمات، دار الفكر، دمشق،ط1، 1995م : 375/1.

16. الهروب داخل الذات، ص:16.
17. ينظر: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن، حروف المعاني، تحقيق: د. علي توفيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984م، ص:13.
18. الهروب داخل الذات، ص:57.
19. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 477.
20. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 278 .
21. ينظر: اسماعيل، حافظ، الحجاج مفهومه ومجالاته، الجزء الأول الحجاج: حدود وتعريفات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،م2010، ص: 64 .65.
22. ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الله، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الجيل، بيروت، ط5، 1979م : 377/3.
23. حروف المعاني، ص:13 .
24. الهروب داخل الذات، ص:88 .
25. ينظر: حروف المعاني، ص:39 .41، اللباب في علل البناء والإعراب، ص:427 .
26. الهروب داخل الذات، ص:88 .
27. ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 354/3 .
28. الهروب داخل الذات، ص:88.
29. ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب: 217/1 .
30. ينظر: المبرد، أبو العباس محمد،المقتضب، تحقيق: محمد عضيمة، عالم الكتب، بيروت، بلا:12/1.
31. ينظر: المصدر السابق :10/1 .
32. ينظر: الكتاب كتاب سيبويه :17/3، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:48/3
33. الهروب داخل الذات، ص:11 .
34. ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 150/4 .151 .
35. الهروب داخل الذات، ص:40 .
36. ينظر: عمران، قدور، البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجّه إلى بني إسرائيل، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، 2008م ـ 2009م، ص43 ـ 44 .

37. ينظر: الناجح، عزالدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقة، جامعة منوبة، 2003م، 2004م، ص:17.
38. ينظر: المقتضب :46/1، حروف المعاني،ص:8.
39. الهروب داخل الذات، ص:66 .
40. ينظر: حروف المعاني،ص:8.
41. الهروب داخل الذات، ص: 86.
42. ينظر: حروف المعاني،ص:31.
43. الهروب داخل الذات، ص:90.
44. ينظر: الخطيب، جلال الدين القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1998،4م،ص:118.
45. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 520.
46. ينظر: الحمد، علي توفيق، صيوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، إربد، ط1993،2م،ص: 93.
47. الهروب داخل الذات، ص:88.
48. ينظر: حروف المعاني،ص:7.
49. الهروب داخل الذات، ص:90.
50. اللسان والميزان، و التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1998،1م، ص:277 .
51. الهروب داخل الذات، ص:81.
52. المصدر السابق، ص:89.
53. المصدر نفسه، ص:16.
54. ينظر: اللسان والميزان، ص:278.
55. الهروب داخل الذات، ص:14.